الطاعون

(تابع لما قبل)

ومما يدلُّ على ان مصر لم تكن دائماً مقرّ هذا الوبآء ومصدر انتشارهِ نشوءه وافداتهِ في غيرها بعد زوالهِ منها بالكلية فقد ظهر سنة ١٨٥٦ في طرابلس الغرب وانتشر بين العرب قرب بنغازي وانتاب عسير منذ سنة ١٨٣٥ الى سنة ١٨٨٩ ولم يحملهُ البدو الى مكة على ما تشآءم بهِ القوم حينئذٍ · وهو يكاد يكون متوطناً في العراق العربي بين دجلة والفرات فقد حدث في بغداد من سنة ١٨٥٦ الى سنة ١٨٦١ وتفشى سنة ١٨٦٧ بين العرب النازلين بعبر الفرات على طريق كربلآء ونجد واعاد الكرّة على بغداد سنة ١٨٧٣ وبقي الى سنة ١٨٨٠ · وحل في اذربيجان من بلاد العجم منذ سنة ١٨٦٣ حتى سنة ١٨٧٥ وامتدَّ الى كردستان وانتشر في خراسان وغيرها · وسنة ١٨٧٨ ظهر في بعض قرى استراخان فخافت الدول الاوربية من انتشارهِ الاّ ان التدابير الصحية حصرتهُ في مكانهِ ومنعت امتدادهُ

ومن المقرر ان الطاعون كان سنة ١٨١٥ شديد الوطأة في ولاية فُنْش وقطيوَر من اعمال بمباي وبقي الى سنة ١٨١٩ يفتك في الشتآء ويخف في الصيف ثم ظهر سنة ١٨٣٦ في مقاطعة مَرْوَر فهلك بهِ ٢١,٠٠٠ من اهلها واجتاح مدينة بالي وعدد اهاليها ١٥,٠٠٠ فأودى بحياة ٤,٠٠٠ منهم ووُجد منذ سنة ١٨٢٣ في مقاطعة غُرْهل الواقعة في حضيض جبل حلايا وبقي ينتابها الى سنة ١٨٧٧

وقد ثبت ان هذا الوبآء متوطن في ولاية انّام من الصين منذ سنة ١٨٧١ ويكون وافدًا على حدود تُنكين كل ثلاث سنين او اربع · وقد اودت وافدة

سنة ١٨٩٤ التي تفشّت في كنتون بحياة ١٨٠,٠٠٠ من اهلها وفي هنغ كنغ هلك بها ١٢٠,٠٠٠ وهي الوافدة التي تذكر بما وُفّقَ اليهِ الطبيبان يرسن الفرنساوي وقيتازاتو الياباني من كشف جرثومة الطاعون الخصوصية · وهي تُرى بالمجهر (ش١) على شكل انابيب بيضية بعضها اكبر من بعض قليلاً تُلون بالانيلين فتظهر اطرافها منفصلة واذا استُفرخت على مادة صلبة بقيت على الشكل الذي كانت عليهِ في الدُمَّل الاّ انهُ يظهر فيها هناتٌ مستديرة وانبوبيات مستطيلة الى جانب

ش١ ش٢

الانابيب البيضية المذكورة آنفاً · اما اذا استُفرخت في مادة سائلة فتكون على شكل سبحة كل حبة منها توازي الاخرى (ش٢) ويرى غالباً في طرف السبحة او في وسطها حبة ممتازة بلونها وقدها واكثر ما يرى ذلك في دم الجُرَذ بعد تلقيحه · ومقرُّ الجراثيم الوبيلة الدمَّل والدم وسائر الاعضآء وهي شديدة الوبال على الفأر فالجُرَذ فالارنب فالخنزير الهندي · وقد ثبت ان الفأر اكثر قبولاً للوبآء ولم يكن ذلك معروفاً من قبل فاذا حدث الطاعون في مكانٍ تصاب بهِ اولاً والهنود اذا رأوها تزأم استدلوا على حلول الوبآء فيتركون قراهم ويولون الادبار

· وبعد ان كُشِفت جرثومة الطاعون في الهند كما ذُكر آنفاً عاد الاستاذ يرسن الى باريز يدأب فيها مع بعض رصفآئهِ تحت ملاحظة الاستاذ روكس في استنباط اللقاح الشافي من هذه العلة فنجح بتخفيف سمية المرض وتلطيف فعلها في الارانب والفأر وخنازير الهند وذلك بان استفرخ جرثومة الوبآء بموجب الطرق المألوفة ثم وضعها في ابزن درجة حرارتهِ ٥٨ س مدة ساعة لتموت وبعد ذلك اخذ من هذه المادة شيئاً حقن بهِ في وريد الارنب فظهرت اعراض

العلة فيها ولكنها لم تمت كما لو حقن بالمادة الاصلية لان سمّية المادة المحقون بها لم تكن كافية لهلاكها ثم استفرغ من مصل الارنب المحقونة على ما ذكر وحقن منهُ بكمية ٣ سنتيمترات مكعبة ارنباً اخرى فقويت على احتمال سمية الجرثومة الفعالة فاستنتج من ذلك ان الجرثومة المخففة تعارض فعل الجرثومة الشديدة السمية في بناء الحيوان وكأنهُ سلط على العدو عدوًّا من نفسهِ كما قيل

ولكل شيء آفةٌ من جنسهِ حتى الحديد سطا عليهِ المبردُ

واعاد التجربة بان لقح الحيوان بالمادة الشديدة السمّية وبعد ١٢ ساعة حقنهُ بالمادة المخففة فسلم من الموت وعوفي وعلى هذا النحو اجرى تجاربهُ على الخيل فاعافاها والفرس المعافى على هذا الوجه يُفصَد بعد ثلاثة اسابيع من حين شفائهِ من العلة المسببة عن القاح ويؤخذ مصلهُ ويحفظ في قوارير ليكون معدًّا للاستعمال عند اللزوم

وبعد ان اسفرت تباشير النجح بهذه الطريقة عاد العلامة يرسن الى حيث مقر الوبآء وجرب التلقيح بالمصل في فتى صيني مصاب بالطاعون الدملي فأبلّ منهُ وشفي في وقت قصير ثم لقح اثنين في كنتون. فشفيا كذلك وقد ثبت انهُ شفى ٢١ مريضاً من ٢٣ في مدة ١٠ ايام بطريقة القاح ما عدا الثلاثة المذكورين آنفاً[1] وكان النقه سريعاً ولم يمت الّا اثنان تأخر علاجهما الى اليوم الخامس من بدآءة العلة وكان آتياً من نجاحهما لضعف القلب وفقد القوى من جرآء شدة العلة وتقدمها

اما العدوى فقد انكرها كثير من نُطُس الاطبآء منهم كلوت بك وحجتهُ ان المصريين لم يكونوا يتجنبون مخالطة بعضهم لبعض في زمن الطاعون فلو كانت

---

١ يستفاد من الاخبار الاخيرة ان القاح بمصل الفرس المعافى يستعمل الان في بمباى وقد نجح العلاج به في الوقاية من هذه العلة كما نجح في شفائها

العدوى واقية لما سلم احد منهم وان الوبآء كان ينفشى في احيآء كثيرة من تلقآء نفسهِ والامر ليس كذلك لانهُ قد ثبت ان هذا المرض الويل معدٍ ومن الادلة على عدواهُ اولاً انهُ ينتقل من مقر وبيءٍ الى مكان سليم اما بحمل جراثيمه بالمربوء نفسهِ او بالاشيآء الملوثة . ثانياً أن الذين يخالطون الموبوئين قلَّما يسلمون من العدوى وخطرُها على الاطبآء والممرّضين كان عظيماً في جميع الوافدات التي حدثت حتى الآن . ثالثاً أن الذين اعتزلوا المرضى وتجنبوا المخالطة سلموا مع انهم كانوا في مكانٍ وبيءٍ . رابعاً أن الحجر الصحي يحصرهُ ويدرأ خطرهُ عن الاماكن المحجور دونها وذلك ثابتٌ فعلاً بدليل حصرهِ في نوجا سنة ١٨١٥ على ما تقدم . خامساً أن التدابير الصحية تعارض انتشارهُ وامتدادهُ والمحتجرات فضل في ذلك لا ينكر فانهُ لما ظهر في استراخان سنة ١٨٧٨ لم يتجاوز بلدة وتلينكا وكثيرًا ما حملتهُ السفن الى الموانيّ فاحتُجر عليها واصيبَ اطبآء المحتجرات وخدَمها فوقف عند هذا الحدّ وسلمت المدن من شرّهِ . سادساً لان التلقيح به يُحدِث العلة في الصحيح

وقد ثبت ان الهوآء يحمل جراثيم العلة وينقلها من مكان الى آخر وان هذه الجراثيم تُطرق الى البنية بالاستنشاق وان الذباب ينقلها الى الصحيح وقد وجدها يرسن في امعآئهِ كما انهُ وجدها متخللةً في التراب على عمق ٥ سنتيمترات ومن تجاربهِ انهُ اخذ ذبابة وُجدت ميتة في مكانٍ وبيءٍ فسحقها ثم اخذ منها شيئاً نقعهُ في الماء المجرَّد[1] ولقح الجرذ بمقدارٍ منهُ فطُعن للحال . ولا يكون الماء في الحالة الطبيعية حاملاً لهذه الجراثيم لانها لم توجد فيهِ . وقد ثبت بالمراقبة ان

---

١ المراد بالماء المجرد الذى قد جرد من الجراثيم النباتية والحيوانية باغلائه حتى تهلك تلك الجراثيم

مجاري المياه الكبيرة تعرض انتشار الوبآء فلا يتعداها ففي الوافدة التي حدثت في لندن سنة ١٦٦٥ التجأ ١٠,٠٠٠ شخص الى السفن والمراكب الراسية في نهر التاميز فلم يُطعَن احد منهم واسطول مدينة مالطا سلم من وبآئها سنة ١٨١٣ فلم يُطعَن من ملاّحيهِ الاّ ثلاثة جالوا في اسواق المدينة. وفرّ سنة ١٨٩٤ من اهالي كنتون ٨٠,٠٠٠ نفس الى السفن والمراكب فسلموا كلهم من فتك الوبآء [1]

اما طرق الوقاية من العدوى فتؤخذ من المبادئ المقررة آنفاً مما لا نطيل في الكلام عليهِ الآن وعسى ان لا نعود اليهِ فيما بعد لكن حسبنا ان نستلفت الانظار الى ما في هذه العاصمة خصوصاً وسائر مدن القطر عموماً من الاسباب الباعثة على تفشي الامراض الوبيلة وتباب السكان اذا تفشت واخصُّ هذه الاسباب الاقذار المتراكمة والاسراب غير النافذة فهي مجتمع جراثيم الامراض المعدية ومقرّ كل وبالة. وانّا لنعجب من تغاضي الحكومة المصرية حتى الآن عن تدارك هذا الامر الخطير وهي قادرة عليهِ ولا يفوتها ادراك اهميتهِ. ومعلوم ان الانسان لايسعهُ اجتناب مضار الحرارة والرطوبة ومنع استنشاق الهوآء لان ذلك فوق استطاعتهِ ولكنهُ غير قاصر عن مضادة المواد المتعفنة بازالة القاذورات فمتى تخلصت مصر منها تسلم من كل وبآء باذن الله

ولم ارَ في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمامِ

---

١ في هذه الاثناء سأل مدير مصلحة الصحة في باريز الاستاذ روكس الشهير هل تهلك جراثيم الطاعون على درجة معلومة من الحرارة وهل بين المواد تفاوت في حملها الى البلاد البعيدة فاجاب على السوال الاول انها تهلك في بيئة رطبة متى بلغت درجة الحرارة ٥٨ س وذلك في اقل من ساعة فيجب ان تكون درجة الحرارة ١٠٠ لتهلك بسرعة وعلى السوال الثاني ان المواد تتفاوت في نقل هذه الجراثيم فالخرق والثياب الملبوسة اشدها خطرا اما الحبوب والخشب فلا يخشى من نقل العدوى بواسطتها اذا لم يوجد فيها جرذ او فار مطمون اه ملخصا

اخبار الوبآء الاخيرة

آخر ما ورد من بمباي ان الوبآء لم يزل يفتك فيها فتكاً ذريعاً والمهاجرة لم تزل على ازدياد ويقدّرون ان عدد الذين يخرجون منها في كل يوم ٨٠٠ شخص وقد بلغت الوفيات على ما في تقرير الحكومة الرسمي في الاسبوع الذي آخرهُ ٢٣ فبراير ١,٦٩٠ منهم ٧٨٠ بالطاعون وهو غير صحيح لان وفيات الاسبوع المذكور بهذه العلة تزيد على ١,٢٠٠ ولا غرابة في ذلك لان حكومة الهند الانكليزية لم تجرِ الاحكام التي تقررت اخيرًا في اتخاذ التدابير الملائمة لصحة العموم واجبار السكان على العمل بها

لطيفة

كانت حضرة سيف الدولة بن حمدان كعبةً لوفود اهل العلم والادب وكان المتنبي عندهُ المكانة الاولى على ما هو مشهور حتى حسدهُ مَن بابهِ من الشعرآء . ومن لطيف ما يُروَى ان الخالديّين — وهما شاعران أخَوان كان اكثر شعرهما مُشترَكاً بينهما — قالا يوماً لسيف الدولة انك لتغالي في شعر المتنبي فلو اقترحتَ علينا ما شئت من قصائدهِ حتى نعمل اجود منها . فدافعهما في ذلك زماناً ثم كرّرا عليهِ فاعطاهما القصيدة التي مطلعها

لعينيكِ ما يلقى الفؤاد وما لقي ... وللحبّ ما لم يبقَ مني وما بقي

فأخذاها وأقبلا يتصفحانها فعجبا من اختيار سيف الدولة لها اذ لم تكن من فائق شعر المتنبي ثم عادا ينظران فيها حتى انتهيا منها الى قولهِ

اذا شآء ان يلهو بلحية احمقٍ ... أراهُ غباري ثم قال لهُ الحَقِ . . .

فقطنا لمراد سيف الدولة ولم يعاوداهُ